

منهج الإسكافي في تناول الأمثال العربية بكتابه المجالس

*AL-ESKAFI méthodologie in dealing with Arabic proverbs in his book**AL-MAJALIS*

دهان سليمة*

جامعة غرداية (الجزائر)

0790salima@gmail.com

ملخص: (لا يتجاوز 10 اسطر)	معلومات المقال
تهدف هذه الدراسة للتعريف بترائنا الضخم سيما المغمور منه ،واستكشاف نماذج من الكتب الجامعة ،وكذا الوقوف على منهج تأليف مبتكر عند عالم لغوي مغمور وهو الإسكافي(ت 420هـ) من خلال كتابه المجالس؛ هذا العمل موجه للتعريف بخصيصة في الكتاب وهي الأمثال العربية القديمة من خلال رصد آليات المنهج المتبع في تناولها ،من النتائج المتوصل إليها: كتاب المجالس كتاب متفرد ضم أكثر من ثلاثين مثالا عربيا قديما ،وظف الإسكافي عدة أدوات للتعريف بالمثل كالمعجم والدلالة والنحو والصرف والشعر وأثار العرب... في أسلوب مشوق وممتع.	تاريخ الإرسال: 2023/03/03 تاريخ القبول: 2023/06/26 الكلمات المفتاحية: ✓ الإسكافي ✓ كتاب المجالس ✓ الأمثال العربية القديمة
Abstract :	Article info
<i>This study aims to introduce our huge heritage especially obscure one ,and explore simples encyclopédies ,and standing on an innovative authoring méthodology of an unknown linguist , and he is AL-ISKAFY(died 400AH) through his book AL-MAJALIS ,this work guided the basis of définition of proverbs issues included in the book by observing the méchanisms of méthodology used in dealing with thes proverbs ,among the results we came to: A book of AL-MAJALIS is featured book,he included more than thirty ancient proverbs ,the author employed lexicon, semantics, grammar, morphology, antiquities of Arabs ,and poetry... in an interesting style.</i>	Received Accepted Keywords: ✓ AL-ISKAFY ✓ AL-MAJALIS ✓ Ancient Arabs proverbs :

1. مقدمة:

تناول الأمثال العربية مشفوعة بنماذج ، ثم نعرض ما يقابلها من أمثال في ملفات أخرى، وعليه فإنَّ خطتنا جاءت كالآتي:

- 1- مقدمة.
- 2 -ترجمة الخطيب الإسكافي.
- 3- كتاب المجالس.
- 4- منهج الإسكافي في تناول الأمثال العربية بكتابه المجالس
- 5- خاتمة.

2. ترجمة الخطيب الإسكافي:

تضمنت مختلف كتب التراجم والسير (الحموي، معجم الأدباء إرشاد الأريب الى معرفة الأديب، 1993، صفحة 2549) تعريفات موجزة ومتشابهة للإسكافي، فهو محمد بن عبد الله المكنى بأبي عبد الله، الملقب بالخطيب الأصبهاني، نسبة لأصبهان(وهي مدينة عظيمة مشهورة من أعلام المدن وأعيانها، وأصفهان من أكبر مدن إيران، تقع في الجزء الأوسط الغربي من إيران ، تعرف أيضا باسم أصفهان، يرجع تاريخها للعصور القديمة ولا يعرف الكثير عن تاريخها قبل الفتح الاسلامي لبلاد فارس ، وأصفهان: اسم للإقليم بأسره، وكانت مدينتها أولا جيًّا ثم صارت اليهودية، وهي من نواحي الجبل في آخر الإقليم الرابع (الحموي، معجم البلدان ، (د ت)، صفحة 206)، موطنه الأصلي، الرازي نسبة للري(مدينة تاريخية تقع في إيران بالقرب من طهران ، استولى عليها الفرس، ثم الاسكندر، ثم السلوقيون، فُتحت الري في عهد الخليفة عمر بن الخطاب تحت قيادة نعيم بن مقرن (الحموي، معجم البلدان ، (د ت)، صفحة 238)، وهي المدينة التي تولى فيها الخطابة ، فعُرف بالخطيب بسبب ذلك، وسمي كذلك خطيب القلعة الفخرية(وفخراباد: كان فخر الدولة بن ركن الدولة بن بويه الديلمي قد استأنف عمارة قلعة الري القديمة، وأحكم بناءها، وعظّم قصورها وخزائنها، وصنّها وشحنها بالأسلحة والذخائر، وسمّاها فخراباد، وهي مشرفة على البساتين والمياه الجارية، أنزه

الأمثال والحكم في كلّ أمة هي لسان حالها وخلاصة تجاربها، ومعلّم نضجها الفكري؛ وهي فن نثري عُرف عند العرب منذ الجاهلية فزَيّنوا به كلامهم ووَشّحو به أسواقهم ونواديبهم ومجالسهم ،تواتر على ألسنتهم جيلا بعد جيل فوصل إلينا غضا طريا، عرفنا من خلاله حياة العرب وفكرهم ولغتهم...، ولما ترسّمت معالم الحضارة الإسلامية انكب العلماء على جمع العلوم المختلفة: تدوينها وترجمة وتذليلها وشرحها، ومن أهم تلك العلوم: علوم اللغة ممثلة في الصناعتين: الشعر والنثر...،ومنها الأمثال والحكم العربية، والتي سلّك فقهاء اللغة سبيلين في جمعها:

- جمع غير مباشر من خلال بثها في طيّات الكتب مثل المعاجم اللغوية والتفاسير وكتب شروح الشعر ؛ أي إنهم لم يخصوها بمؤلفات منفردة...

- وجمع مباشر من خلال تخصيصها بمؤلفات منفردة: ككتاب مجمع الأمثال للميداني (ت518هـ) ،وكتاب المستقصى من أمثال العرب للزمخشري ،وقد تفتّن علماؤنا في مناهج هذا التأليف المتخصص وسبله؛ دفعا للرتابة وقصد التأثير والإقناع، مما يدل على إبداع متميّز وتمكن واضح. من كلّ هذا وذاك آثرنا التعريف بمؤلف ثري ومغمور للغوي المعني وهو الخطيب الإسكافي(ت420هـ) من خلال مؤلفه : "كتاب المجالس"، فمن هو الخطيب الإسكافي؟ وما هو منهجه في تدوين الأمثال العربية في كتابه المجالس؟ وما وجه التفرد في هذا التأليف؟ للإجابة عن ذلك كان هذا البحث الذي وسمناه: " منهج الخطيب الإسكافي في تناول الأمثال العربية بكتابه المجالس" آملين من خلاله التعريف بشخصية "الخطيب الإسكافي" ،من خلال الوقوف على إبداعاته في بعض مؤلفاته المتميّزة التي تجمع بين علم التفسير والحديث الشريف والنحو والصرف والشعر والأمثال والحكم، والوقوف على منهجه في

لمسائل خلافية بين العلماء في علم التفسير والحديث الشريف والتحو والصرف و الشعر والأمثال وضوال الحكم. من خلال عنوان الكتاب ومضمونه نستنتج بأن الخطيب الإسكافي كان يجتمع بتلاميذه ليروي لهم ويشرح مسائل خلافية بين العلماء فقد كان الإسكافي - كما ورد في سيرته - خطيباً مُفَوِّهاً في قلعة الري موطنه، ولغويًا حاذقاً، ودافعاً للرتابة والسأم ارتأى بفكره الثاقب أن يُنَوِّع المسائل في كل درس ويُضمِّنها التفسير والحديث... ويختصها بالأمثال والحكم، لذلك كان عنوان الكتاب "المجالس" كما أثبت المحقق، وقد ضمَّ كتاب المجالس خمساً وثلاثين مجلساً، كلٌّ مجلس يتكون من خمس قضايا: مقدمة على التحو التالي: مسألة في القرآن: يشرح فيها آية اختلفت في تفسيرها، يعقبها بمسألة في خبر الرسول صلى الله عليه وسلم: يشرح فيها الحديث الشريف؛ ممَّا أشكل فهمه فاختلعت تأويلاته، ثمَّ يورد بعدها المسائل التحوية والصرفية التي اختلف فيها بين النحاة، يليه بيت شعر يشرحه ويُبيِّن المقصود منه، ثمَّ يختتم كلَّ مجلسٍ بالتعريف بمثل عربي، وأضاف للمجلس الحادي والثلاثين والثالث والثلاثين والرابع والثلاثين والخامس والثلاثين فقرة سادسة سمَّاها ألفاظاً من ضوال الحكم أورد فيها حكماً مختلفة في شكل حديث شريف أو أثر، وفي كلِّ المسائل السابقة يعرض الإسكافي مختلف الآراء التي ذكرت في شرحها ويُرجح أحياناً بعضها بالحجة والبرهان، فمضمون الكتاب ثري وأسلوب ممتع ومُشَوِّق فهو مؤلَّف موسوعي مهم .

4 منهج الإسكافي في تناول الأمثال العربية في كتابه المجالس:

ضمَّ كتاب المجالس ثلاثة وثلاثين مثلاً، وانتهج الخطيب الإسكافي منهجاً مبتكراً في إيرادها مستهلاً ذلك بالشرح اللغوي للمبهمات من الألفاظ المكونة للمثل، ثم يذكر مورد ومضرب المثل مستشهداً بشواهد متنوعة، وقد يعرض المسائل التحوية أحياناً، فهو لا يذكر كلَّ هاته المراحل تباعاً، بل يعرض بعضها ويحجم عن الأخرى حسب ما يتطلبه كلَّ مثل وكلَّ مجلس، على أنَّ الشرح وإيراد مضرب المثل يورده في كل مرة، وسنورد

شيء يكون، وأظنها قلعة طبرك، والله أعلم، وفخراباذ أيضاً ن قرى نيسابور (الحموي، معجم البلدان، (د ت)، صفحة 238)، ولم يرد ذكر لأبائه ولا أولاده، فلم يُعرف أصله، أهو عربي أم فارسي، كما جُهلَّت سنة ولادته، ونشأته، وقد قيل إن سبب ذلك هو عدم تقربه من الحكام وإيثاره العزلة، وانشغاله بعلمه وبتحصيل رزقه، بالرغم من صحبته للصاحب بن عباد (هو إسماعيل بن عباد بن العباس بن عباد، الوزير الملقب بالصاحب، أبو القاسم من أهل الطالقان: وهي ولاية بين قزوين وأبهر والصاحب مع شهرته بالعلوم وأخذه من كل فن منها بالنصيب الوافر، وما أوتيته من الفصاحة وحسن السياسة، ولد سنة 326هـ)، ووزر لمؤيد الدولة أبي منصور بويه بن ركن الدولة، وأخيه فخر الدولة ثماني عشرة سنة، مات سنة 385هـ) (الحموي، معجم الأدباء إرشاد الأريب الى معرفة الأديب، 1993، صفحة 385)، الذي اتصل به الكثير من العلماء والأدباء، وكان الإسكافي يومها ذائع الصيت، ذا شهرة، كان إسكافاً (وهو الصانع أياً كان وخص بعضهم النجار، والإسكاف عند العرب كل صانع غير من يعمل الخفاف (منظور، (د ت)، صفحة 157)، ثم أديباً: كاتباً وشاعراً، أضف إلى كونه لغوياً، والجدير بالذكر أن المصنفين الذين ترجموا للخطيب الإسكافي، والذين جاءوا من بعد لم يضيفوا جديداً على ما ذكره ياقوت، بل إن بعضهم نقل نص ما ذكره ياقوت مع تصرف قليل، مثل: "الصَّفدي" في "الوافي بالوفيات" و"السَّيوطي" في "بغية الوعاء"، والأمر كذلك في المعاجم الحديثة مثل: "هدية العارفين" لإسماعيل البغدادي و"كشف الظنون" لحاجي خليفة و"معجم المؤلفين" "لعمر رضا كحالة" و"الأعلام" "لخير الدين الزركلي".

3 كتاب المجالس:

كتاب المجالس كتاب فريد من نوعه؛ ذلك أنه مؤلَّف جامع لأنواع من العلوم القرآنية واللغوية والأدبية، وإن كان الأولون لم يفرقوا يوماً بينهم، وإن كان التأليف في الكتب المتخصصة مزال مبكراً في عصر الإسكافي، فهذا الكتاب يتضمن شرحاً وتوجيهاً

فيما يلي منهجه في ذلك مع ذكر بعض الشواهد (الأمثال)
لنستخلص في الأخير المنهج المتبع في الكتاب عامة:

4-1 - ذكر المورد والمضرب وشرح مفردات المثل مع تقليباتها :

وهنا نجد الإسكافي قد يكتفي بشرح المفردات المبهمة المكونة للمثل ثم يعطي المعنى الإجمالي ، وقد يضيف المورد والمضرب ويشرح المفردات مع تقليباتها ويورد أثناء ذلك أمثالا قيلت في تلك التقليبات مع شواهدا ويشرح تلك الشواهد ، ويضيف أحيانا ما يقابل تلك المفردات بالفارسية ويرجّح رأيه في الأخير :

ومن أمثلة اكتفاء الإسكافي بشرح مفردات المثل واعطاء معناه الإجمالي، قول العرب : " إِنَّ اللَّيْمَ إِذَا سَأَلَتْهُ هَكَعَ " فشرح معنى هَكَعَ ، وذكر أنها بمعنى: سَعَلَ ، والهَكَاع: السُّعال ، والمعنى العام: أَنَّ البخيل إِذَا أُسْتَعْطِفَ غَصَّ بِالْإِجَابَةِ ، فلا يقدر ، فيعتَلِّ بالسعال عند سماع السؤال (الإسكافي، 2001، صفحة 77) وقد وردت هاته اللفظة بنفس المعنى في لسان العرب، وبمعان أخرى قال ابن منظور: " هَكَعَ: يَهْكَعُ هُكُوعًا : سَكَنَ واطْمَأَنَّ ، والبقرة تَهْكَعُ فِي كِبْسِهَا إِذَا اشْتَدَّ حَرُّ النَّهَارِ ، والهَكَاعُ: السُّعال ، هَكَعَ البعير والناقة سَعَلَ ، والليل هَاكِعٌ أَي بَارَكٌ مُنِيخٌ (منظور، د ت)، (صفحة 374) ، وقد اختار الإسكافي المعنى الأقرب للسياق وهو السُّعال ، وإن كان معنى السكن والطمأنينة وارد ؛ فالبخيل إِذَا طُلِبَ مِنْهُ حَاجَةٌ يَسْعَلُ أَوْ يَسْكُنُ وَلَا يَجِيبُ غَيْرَ مَبَالٍ ، وفي كلا المعنيين دلالة الرِّفْضِ غَيْرِ الْمُبَاشَرِ .

من أمثلة اكتفائه بالشرح وإيراد المضرب فقط (الإسكافي، 2001، صفحة 65)، قول العرب: "كُلُّ فُرَاتٍ نَحْوُهُ شَرِيعَةٌ" ، فذكر أَنَّ الشَّرِيعَةَ هِيَ الطَّرِيقُ الَّذِي يُشْرَعُ لِلْمَاءِ لِيُورَدَ مِنْهُ ، ومعنى المثل: كُلُّ مَا عُذِبَ فَلَهُ طُلَابٌ يَسْتَهْلُونَ لَهُ الطَّرِيقَ ، ثُمَّ ذَكَرَ مَا يَشْبَهُ مُضْرِبَهُ وَهُوَ أَنَّ كُلَّ نَفِيسٍ يَتَزَاحَمُ النَّاسُ عَلَيْهِ حَتَّى يَسْتَهْلُوا الطَّرِيقَ لَهُ مِنْ عِلْمٍ وَغَيْرِهِ .

ومثال ذكر الإسكافي لمورد المثل ومضربه وشرحه مفردات المثل وإرفاقها بشواهد مختلفة بعد شرح هاته الشواهد، قول العرب : "باءت غرارَ رَكارٍ بِكَحَلٍ (الإسكافي، 2001، الصفحات 133-134) ، فذكر أَنَّ غَرَارَ وَكَحَلَ بَقْرَتَانِ قُتِلَتْ إِحْدَاهُمَا فَتَقَاتَلَا أَصْحَابُهُمَا إِلَى أَنْ قُتِلَتِ الْآخَرَى فَسَكَنُوا ، فضربت العرب المثل بذلك لِمَنْ ظَلَمَ فَانْتَصَرَ وَنَالَ مِثْلَ الَّذِي نِيلَ مِنْهُ ، فذكر هنا مورد المثل ومضربه ، ثم استرسل في شرح لفظة "باء" ، فذكر أَنَّ معنى : "باء بكذا" أَي صَارَ بَوَاءً لَهُ ، وَبَاءَ فُلَانٌ بِإِثْمٍ إِذَا احْتَمَلَهُ ، وَالبَوَاءُ: الْمِثْلُ ، واستدل بقول المهلهل لما قُتِلَ بُجَيْرٌ فِي حَرْبٍ بَكَرٍ وَتَغَلَبَ : "بُؤُ بِشَسْعٍ نَعَلَ كَلِيبٌ (شَسْعُ النَعْلِ: قِبَالُهَا الَّذِي يَشْدُ إِلَى زِمَامِهَا ، والزمام السير الذي يعقد فيه الشسع والجمع شُسُوعٌ (منظور، د ت)، (صفحة 180)، أَي: أَنَّهُ أَصْغَرَ مِنْ أَنْ يَكُونَ بَوَاءً بِكَلِيبٍ فَيَسْتَقِلُّ بِدَمِهِ ، وَإِنَّمَا هُوَ مِثْلُ شَسْعٍ نَعَلَهُ ، واستدل كذلك بقوله تعالى: ﴿...فَبَاءُوا بِغَضَبٍ عَلَى غَضَبٍ وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ مُهِينٌ﴾ [البقرة: 90] .

وفي هذا الباب كذلك قد يعرض الإسكافي المورد والمضرب ويشرح عناصر المثل المفتاحية ويشير إلى أمثال أخرى استعملت فيها هذه اللفظة وما يشاكلها ويذكر مضربها ، ويشرح هاته الأمثال وحتى ما يقابل هاته الألفاظ باللغة الفارسية ، ويرجّح الآراء في الأخير مستدلا بالحجة ومثال هذا في قول العرب: "إِنَّ مَاءَكُمْ هَذَا مَاءَ عِنَاقٍ" (الإسكافي، 2001، الصفحات 195-196) ، ذكر مورد المثل و هو أَنَّ رَجُلًا خَرَجَ يَسْقِي إِبِلَهُ وَبَيْتَهُ مُقَابِلًا لَهُ ، فَرَأَى رَجُلًا يِعَانِقُ زَوْجَتَهُ فَأَقْبَلَ نَحْوَهُمَا فَأَخْضَتِ الْمَرْأَةُ الرَّجُلَ ، فَلَمْ يَجِدْهُ فَلَمَّا سَأَلَتْهُ كَتَمَ عَنْهَا حَالَهُ ، وَعَاوَدَ السَّقْيَ وَكَذَّبَ بِصَرِّهِ ، فَلَمَّا كَانَ مَوْعِدُ الْوَرْدِ الثَّانِي اقْتَرَحَتْ زَوْجَتُهُ أَنْ تَسْقِيَ هِيَ وَيَقْمَى هُوَ بِالْبَيْتِ ، فَخَرَجَتْ تَسْقِي فَتَحَيَّتْ غَفْلَتَهُ ثُمَّ أَقْبَلَتْ نَحْوَهُ تَرِيدُ ضَرْبَهُ بَعْضًا ، فَلَمَّا اسْتَفْهَمَ مِنْهَا ذَكَرَتْ أَنَّهَا رَأَتْ امْرَأَةً تَعَانِقُهُ ، فَكَذَّبَ ذَلِكَ ، وَلَكِنَّمَا أَبَتْ تَصْدِيقَهُ وَأَصْرَبَتْ عَلَى ضَرْبِهِ ، فَتَحَالَفَا حَتَّى سَكَنَتْ فَقَالَ الزَّوْجُ: "إِنَّ مَاءَكُمْ هَذَا مَاءَ عِنَاقٍ" ، ثُمَّ ذَكَرَ مُضْرِبَ هَذَا الْمَثَلِ وَهُوَ لِمَنْ يَخْدَعُ نَفْسَهُ وَيَتَّبِعُ غَيْرَهُ عَلَى الْبَاطِلِ ، ثُمَّ فِي مَعْرِضِ

وإن كنت غَوَاصاً فحوتاً تُقَامِسُ

وإذا حُمِلَ الفعل "قمس" على المغاطة وجعل متعديا كان معناه: إن غططتني في الماء غَطَطْتُكَ وصيرت تحت صبر الحوت واستشهد بقول الناظم —مختلف في نسبه— :

فلو رجلا خادعته لخدعته ولكنما حوتا بدھنا أقامس
و ذكر ابن منظور معنى الفعل "قمس" على التعدي فقط ومضربين للمثل أحدهما يماثل ما ذكره الإسكافي : قمس في الماء يَقمِسُ قُمُوساً : انغطَّ ثم ارتفع ،وقمسهُ هو فانقمس أي غَمَسَهُ فيه فانغمس ،وكل شيء يَنغُطُّ في الماء ثم يرتفع فقد قَمَسَ ،يُقَال للرجل إذا ناظر أو خاصم قرنا :إنما يُقَامِسُ حوتا ،وقيل إنما يقال لك إذا ناظر مَنْ هو أعلم منه (منظور، د ت)، صفحة 182).

ومن أمثلة تناوله لمسألة تعدي الفعل قول العرب "الحريص يصيدك لا الجواد" (الإسكافي، 2001، الصفحات 284-285)، ويضرب لمن له هوى في حاجتك التي تطلبها فيوصلك لها ،ومن لا هوى له في حاجتك لا يوصلها لك، فقد يركب الغلام أعدى فرس و لا يدرك الصيد وذلك بتواني الغلام وقلة حرصه ،وبالمقابل ربما يدرك الصيد من عدو فرسه دون فرس غيره وذلك لحرص الراكب واجتهاده ، ويشبهه قول العرب: "قُضِيَتْ حَاجَةٌ وافقت هوى"،وتناول الإسكافي في عرضه لهذا المثل مسألة تعدي الفعل بنفسه أو بحرف الجر وذكر أن ذلك سيان واستشهد بذلك ، فقولنا :يصيدك هي نفسها يصيد لك ،كما يقال: كَلَّتْهُ ووزنته بمعنى كَلْتُ له ووزنت له ، وقد فسرت الآية التالية بنفس المنحى ،وهي قوله تعالى: ﴿ وَإِذَا كَالُوهُمْ أَوْ وَزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ ﴾ [المطففين:3]، وقد ذهب ابن عاشور لنفس رأي المؤلف ،وحتى وظف نفس المثل أثناء تفسيره للآية السابقة ،فذكر أن تعديـة "كالوا ووزنوا" إلى الضميرين على حذف لام الجر ،وأصله كالوا لهم ووزنوا لهم ،وقولهم في المثل: "الحريص يصيدك لا الجواد" هو حذف كثير مثل قولنا: نصحتك وشكرتك ،أصلها نصحت لك وشكرت لك ،لأن الفعل كال ووزن لا تتعديان بأنفسها إلا إلى الشيء المكمل أو

شرحه للفظـة "عناق" ذكر مثلين تضربهما العرب وتوظف فيهما ما يشاكل هذه اللفظة وهي لفظـة : "عناق" بالفتح ،فتقول العرب : " نال منه العنَاقَة " أي أصابته الخيبة ،ومعنى العنَاقَة هنا :الخبية ،وقالوا كذلك " لقيّ منه أذني عَنَاقٍ " أي: إذا رأى شدة وأمرًا مظلمًا، وذكر أن العَنَاقُ هي من دواب الأرض تسمى عَنَاقُ الأرض ،تكون سوداء الأذنين يقال لها بالفارسية: "سَيَاكُوش" ،ثم استرسل في محاولة إيجاد صلة بين المعنيين المختلفين ،بأن العَنَاق هي الخيبة والشدة والأمر المظلم من جهة وأنها بمعنى دابة الأرض ،فذكر أن الخيبة سُميت باسم عَنَاق لأن الطالب يكون في ضياء من أمله فإذا خيب عاد في ظلام ،وكذلك سُميت الخيبة عَنَاقاً لأن أذني العَنَاق (الدابة) لا يفارقهما السواد ،ثم أورد حجة تثبت ترجيحه لمعنى العَنَاقَة بأنها الخيبة قول الشاعر(مختلف في نسبه وقيل إنه أبو عمرو بن العلاء (المرصفي، 2012، صفحة 93)

سَرَى لَكَ بِالْعَنَاقَةِ مِنْ سُعَادٍ خيال فاجتنى ثمر الفؤاد
و اتفق أغلب اللغويين على أن معنى العنَاقَة هو الخيبة والأمر الداهية والشديد وأنها بمعنى دابة الأرض (الفراهيدي، 2003، الصفحات 239-241).

2-4 إيراد المضرب و المورد و المسائل الصّرفية مع شواهدا :

ومثاله قول العرب: "إنما حوتا تُقَامِسُ" (الإسكافي، 2001، الصفحات 156-157)، ذكر بدءاً مضرب المثل ،فذكر بأنه يُضْرَبُ للرجل الداهية إذا وقع إلى مثله أي إذا ناظر أو تخاصم مع من يشاكله ،ثم ذكر وجهين في شرحه لمعنى لفظـة "قمس" حسب التعدي ،فإن ورد الفعل "قَمَسَ" غير متعد يكون المعنى: قَمَسَ في الماء إذا غاص فيه ومعنى المقامسة المغالبة في الغوص و الصبر عليه ويكون معنى المثل إن غُصَّتْ وأخفيت عني كيدك فإنك تُغَاوِصُ حوتا ،والحوت أصبر الأشياء على الغوص ،أي أني أقدرُ على الاحتيال عليك منك ،واستشهد الإسكافي بقول الناظم:

فإن كنت سباحاً فإني لسابحٌ

مواضع ،ومع هذا أنه بناء ليس من كلامهم إلا في هذا الموضوع من الفعل فكرهوا أن يحولوا ألسنتهم إلى الاستثقال (سيبويه، 1982، صفحة 114).

ومن المسائل الصرفية التي تناولها الإسكافي أثناء شرح المثل: قول العرب: اسقى رَقَّاشَ فَإِنَّهَا سَقَايَةٌ"، (اسم امرأة يضرب بها المثل في الاحسان ،ويضرب هذا المثل في المبادرة للإحسان للمحسن (الميداني، 2003، صفحة 362) ، فشرح المثل اقتضاباً فذكر أن معناه أحسن إليه فإنه ذو إحسان للناس، ثم تناول مسألة جواز رد الهمزة في آخر الاسم الممدود إلى الأصل في المؤنث فذكر أن الرجل يقال له: سقاء والمرأة سقاة، وترد الهمزة في آخر الاسم للأصل من الياء والواو ، فيقال: سقاوة، عباية، غطاية ،وذلك إذا بُنيت الكلمة على التأنيث ولم تكن علامته داخلية على لفظ التذكير ،وذلك فمن قال عباء وأنثتها لا يقول إلا عباة ،ومن وضع المؤنث أصلاً من غير بنائه للمذكر تكلم بالياء على الأصل فقال: عباية وغطاية ،لأن هذه الياء إنما تنقل إذا كانت طرفاً واعتورها الحركات الثلاث ،فأما إذا كانت الهاء محل الحركات ولزمت الياء حركة واحدة لم تنقل فتعل ،فتكون الفائدة في بناء الكلمة على الياء دلالة على أن الكلمة مصوغة للتأنيث ،وفائدة صيغة الكلمة للتأنيث دلالة على مبالغة ما جعلت اللفظة في معناه من غير أن يكون داخل على أصل سواه ،فكانه إذ قال : "اسقى رَقَّاشَ إِنَّهَا سَقَايَةٌ" يراد أنها أصل في الاحسان يقتدى به وليس مقتدياً بغيره (الإسكافي، 2001، صفحة 324) ، وذهب أغلب النحاة (الغلاييني، 2007، الصفحات 227-228) لنفس ما ذكره الإسكافي ؛ إذ كل اسم لحقته التأنيث فإن كانت علامة التأنيث عارضة للفرق بين المذكر والمؤنث ك: بناء ،وبناءة وجب القلب لتطرف الغلة بعد ألف زائدة ،لأن هاء التأنيث الفارقة هنا في حكم الانفصال ،ولأنها عارضة على صيغة المذكر ، وإن كانت غير عارضة بأن تكون الكلمة بُنيت راساً عليها ،لا للفرقة بين المذكر والمؤنث ك: هداية ورعاية وسقاية ،امتنع قلب حرف العلة همزة لعد التطرف ،ولأن هاء التأنيث حينئذ في حكم الاتصال ،ولأنها لم تعرض على صيغة المذكر للدلالة على المؤنث ،وإن كانت

الموزون ،يقال: كال له طعاماً ووزن له فضة ،ولكثرة دورانه على اللسان خففوه فقالوا: كاله ووزنه على الحذف ،وذكر الفراء أنه من كلام أهل الحجاز ومن جاورهم (عاشور، 1984، صفحة 191)، وعلى هذا فهناك أفعال كثيرة عند العرب تتعدى بحروف جر محذوفة وذلك للتخفيف وكثرة الدوران على اللسان وكذا عند أهل الحجاز وما جاورهم ، وقد ذكر الإسكافي المسألة فقط وأشار لتفسير الآية فقط دون شرح وإطالة. ومن أمثلة ذكره للمورد مع شاهده والمضرب وجواز تسكين وتخفيف عين الفعل قول العرب (الإسكافي، 2001، صفحة 175): "لم يُحَرِّم من فُصِدَ له" ذكر الإسكافي أنه من عادة العرب في الجذب إذا نزل بها ضيف يفصدون إبلهم ودوابهم فيسقونه دمها إمساكاً لرمقه ،واستدل بقول الأعشى: ولا تأخذن سهماً حديداً لِتَقْصِدَا" ، ثم قدم معنى المثل ومضربه: "أي لم يحرم من نال طرفاً من حاجته وإن لم يستكمل طلبه"، ثم تعرض لمسألة جواز تسكين عين الفعل المنكسرة تخفيفاً ،حيث ذكر أن فُصِدَ هي فُصِدَ واحتج لذلك بأن كل فعل انكسر ثانيه فإنه يجوز تسكينه تخفيفاً ،مثل: عَلِمَ عَلِمَ ،وَضُرِبَ تقول: ضُرب ،واستدل بقولهم: لو عُصِرَ منه المسكُ والبانُ انعَصِرَ" (الشاهد لفظة عُصِرَ)، واستشهد كذلك بقول الناظم:

فإن أهجُهُ يَضَجَّرُ كما ضَجَّرَ بازل

من الأذم دَبَرَتْ صَفَحَتَاهُ وَغَارُهُ

(و الشاهد ضَجَّرَ) ، وقد ذهب ابن منظور نفس المذهب حين شرح لفظة "فصد" بتسكين الصاد تخفيفاً كما قيل: ضُرب: ضُرب ،واستشهد بنفس المثل السابق وأورد نفس المضرب (منظور، د ت)، (صفحة 336)، وذكر سيبويه علة تسكين عين الفعل المنكسرة تخفيفاً في باب "ما يسكن استخفافاً وهو في الأصل متحرك" فذكر إن سبب ذلك يعود لكرهية العرب رفع ألسنتها عن المفتوح إلى المكسور والمفتوح أخف عليهم ،فكرهوا أن ينتقلوا من الأخف إلى الأثقل وكرهوا في "عُصِرَ" الكسرة بعد الضمة كما يكرهون الواو مع الياء في

فذكر المؤلف معنى الأزب وهو كثير الشعر على الحاحب والعينين ،ومعنى الشفعاء وهي: الناقة التي يتناثر شعر عينيها ،وأورد ما يقابل هذا المثل يمثل آخر تردده العرب وهو: "كل أزب نفور" ،ومعناه أن كل بعير إذا كثر الشعر حول عينيه يخيل إليه الشعر أشخاصا فينفر منهم أعطى مضرب المثل بأنه يضرب لكل من له فعل مريب يخافه ،واستخلص بأن: كل مريب خائف، لكن الزمخشري يرى بأنه يضرب للجهان (الزمخشري، صفحة 268) ،أما معنى المثل الأول يضرب لمن لا يتعلق عليه في ريبة ،لا تحذر هذه ما يخافه ذاك (الإسكافي، 2001، صفحة 42).

و من أمثلة إيراد الإسكافي المثل مع ما يشابهه من أمثال قول العرب: عَرَضَ للكريم ولا تُباحث فذكر الإسكافي أن معناه هو الاكتفاء بالتعريض دون التصريح حين سؤال الكريم ،واستشهد بقول الناظم(هذا البيت ينسب لأبي الأسود الدؤلي يقول فيه:

إذا طلبت إلى كريم حاجة فلقاؤه يكفيك والتسليم
و إذا طلبت إلى لئيم حاجة فالحج في رفق وأنت مديم
(البر)

إذا طلبت إلى كريم حاجة فلقاؤه يكفيك والتسليم

ثم أورد مثالا يشابه المثل وهو قول العرب: "أرخ يديك واسترح إن الزناد من مرخ"، ثم شرح معنى: "مرخ" وهي شجرة يتخذ احتكاك أغصانها النار وهي سريعة الاشتعال ،وذكر مثالا آخر يصب في نفس المعنى وهو قول العرب: "أفزع الزندة بالزندة كيف ما شئت بقوة أو بضعف فإنك تبلغ منه حاجتك" ويقال لمن يقدح النار إذا كان زناده من شجرة المرخ، يبدو أن أوجه التشابه بين هذه الأمثال يكمن في أن الكريم تكفيه الإشارة ليفهم وكذلك أغصان المرخ يكفي حكها بيسر لكي تشتعل،و ذكر الإسكافي مثلين آخرين وهما في قول العرب: "في كل شجرة نار" ،و"استمجد المرخ والعفار(المرخ والعفار شجرتان فيهما نار ليس في غيرها من الشجر،ويُسَوَّى

عارضة لجعل ما لحقته أخص مما تلحقه ،جاز بقاء الهمزة على حالها ،وجاز ردها إلى أصلها ،فتقول: عطاء ورداءة وعطاية ورداية ،وبقاؤها على حالها أولى (الناظم، 2000، صفحة 596).

4-3- ذكر المضرب والشاهد وإيراد ما يقابل أو يشابه المثل وشاهده :

ومثاله قول العرب (الإسكافي، 2001، الصفحات 164-165): "قد يلحق النحوض بالمنحوض" استهل المؤلف إيراد المثل بشرح المبهم منه ثم أتبعه بذكر المعنى العام للمثل ومضربه وما يقابله من أمثال مستشهدا على ذلك ، فالنحوض كثير النحوض وهو اللحم ،يقال نحض نحاضة فهو نحوض إذا كثر لحمه ،والمنحوض الذي قد نحض أي ذهب لحمه ،فالنحوض نقيض المنحوض، والمعنى العام أن السمين يلحق بالمهزول ،ويضرب هذا المثل للغني المكثّر بأنه سينسلخ من ماله وكثرته ويفتقر وذكر أن هذا المثل قد يذكر معكوسا فيقال : " قد يلحق المنحوض بالنحوض" أي قد يرجى للفقير الغنى ،واستشهد بقول الشاعر(دون نسبة):

وأكرم كريما إن أذاك لحاجة لعاقبة إن العضاء تروخ
العضاء: اسم يقع على شجر من أشجار الشوك له أسماء مختلفة يجمعها العضاء واحدها عضاة (منظور، (د ت)، صفحة 190) ، و تروخ الشجر: تفتط وخروج أوراقه ،وتفتطه بالورق قبل الشتاء من غير مطر، الرجة نبات يخضر بعد ييس ورقه (منظور، (د ت)، صفحة 466) ،وذكر الإسكافي أن معنى البيت إذا جاءك مفتقر فاقض حاجته وتذكر عاقبة ذلك ،فإن الأشجار تورق بعد تناثر أوراقها ،فمن يسألك اليوم لا تأمن أن تكون سائله غدا فالأيام دُول ،فإذا سألك الكريم حاجة فأكرمه لعلك تحتاجه غذا فتبذل أحواله كما تبذل أوراق الشجر من اليبس للخرصة ،فيعود الكريم لليسر بعد العسر وتعود أنت للعسر بعد اليسر.

ومثال ذكر الإسكافي للمثل وما يقابله قول العرب (الإسكافي، 2001، صفحة 42): "لا تجد الشفعاء ما يخشى الأزب"

وذكر المؤلف مثلين مشابحين للمثل السابق وهما: قول العرب: **ضَجَّ فِرْدُهُ وَقَرَأَ**، أي: أبى ما سُمِّتَهُ فِرْدُهُ أكثر، والمثل المشابه الثاني قول العرب: **"قد جَرَجَرَ العَوْدُ فِرْدُهُ ثِقَلًا"**.

4-4: إيراد المورد وآراء اللغويين فيه:

قد يورد الإسكافي الرأي المشابه لرأيه أو ما يصبُّ في معناه (الإسكافي، 2001، صفحة 185)، ومثال ذلك في قول العرب: **"إذا قلق الخُرْتُ فانظر بديلاً"** بمعنى إذا اتسع ثقب الفأس وقلق واضطرب نصابه لا بد من تبديله، ويُضرب لكل سائس يضطرب في عمله ولا يضبطه، ومعناه من عجز فغيره، وذكر الأصمعي: زاد خُرْتُ القوم إذا قلقوا في منازلهم وحاولوا الانتقال منه، فالإسكافي أضاف هنا معنى آخر ذكره الأصمعي يصب في السياق نفسه.

- وقد يورد الإسكافي الرأي المقابل لما يرى ومثاله (الإسكافي، 2001، صفحة 185) في قول العرب: **"عينُهُ فُرَاؤُهُ"** ويضرب في المتاع النفيس وفي الرجل الجواد إذا نُظر إليه اطلع منه على غاية ما يراد من العلم به، فيقال: الجواد عينه فراره، أي نظرك إلى نفسه يظهر لك مكنونه، فعينه نفسه، ثم ذكر الإسكافي أنّ أغلب اللغويين متفقون على هذا المعنى إلا أبي عمرو بن العلاء الذي يراه يستعمل فيمن يُسأل عن خيره فيطلع عند ذكره، فيقال: عينه فراره، أي فُرَّ عنه حضرت نفسه وهي كما يقال: أذكره تره وذلك يستعمل في الذئب.

5- خاتمة:

أظهر البحث مدى تمكن الإسكافي من المادة العلمية، فهو عالم موسوعي وصاحب مصنفات في فنون وعلوم لغوية مختلفة من: نحو، معجم، أدب، خطابة، تفسير... الخ، وهذا التمكن ظهر في كتابه "المجالس" وأضفى عليه سمة البحث العلمي من خلال العمق في التحليل والدقة في الاستنباط والوعي في الحكم والقدرة على الإقناع؛

- للإسكافي طريقة مبتكرة ومتنوعة في تناوله لكل مثل اختاره كدرس في مجلسه، فيستهله بشرح الألفاظ المبهمة والمختلف في

من أغصانها الزناد فيقتدح بهما (منظور، د ت)، صفحة 589)، واستمجد بمعنى استكثر منها، واستشهد بمثل آخر وهو قول العرب: **"ضاف فلان فلانا فأمجده قري"** أي: أوسعها إيها، ويضرب للقوم الكرام إذا صار واحد من بينهم أكرمهم، وعضد رأيه بأثر لبسر بن أرطاة (بسر بن أرطاة أو ابن أبي أرطاة العامري القرشي، قائد فتاك من الجبارين، ولد بمكة قبل الهجرة وأسلم صغيراً، روى الحديث الشريف، توفي سنة 86هـ) (الزركلي، 2002، صفحة 51) لما سُئل عن أي قريش أفضل، فقال: في كل شجرة نار واستمجد المرخ والعفار، فقيل له من عنيت؟ قال عبد مناف ولاسيما هاشم وأمية، ثم عرض ما يقابل هذا المثل حين يرمى الفاحش مثله: **"إِقدَحْ بِدَفْلِي فِي مَرِّخٍ ثُمَّ شَدَّ بَعْدَ أَوْ أَرِّخْ"** وذكر سبب ذلك أن هاتين الشجرتين يريان سريعاً (سريعتان في الاشتعال)، ومعنى المثل: هيَّجَ الفاحش على فاحش مثله أدنى تهيج ثم أمسك، فإنَّ الشرَّ سوف يهيج بينهما ولا تحتاج إلى تحريش (الإسكافي، 2001، الصفحات 204-205).

من أمثلة ذكر المؤلف للمثل ومضربه وما يمثله كذلك قول العرب: **"أعيا فِرْدُهُ نَوَاطًا"** (الإسكافي، 2001، صفحة 316)، ويضرب لمن كُلف بحاجة فضجر منها وطلب التخفيف فيزيد أخرى، وكعادة المؤلف في شرح المبهمات من عناصر المثل، فقد شرح لفظة "النَوَاط" ووافق ذلك بالشاهد المناسب، فذكر أنّ النَوَاط هو العِلاوة بين الجوالقين (جمع جُوالِق وجُوالِق: معربة ومعناها الأوعية من الصوف أو الشعر أو غيرها (منظور، د ت)، صفحة 36) وبين الجُلَّتَيْن (الجُلَّة: قفة التمر جمع جلال) (مجمع اللغة العربية، 2004، صفحة 131) أي: ما يعلق بين الوعاءين أو بين القُفَّتَيْن، و جلال التمر تسمى أنواطاً، والمُنَوَاطُ هو المعلق، ولذلك سُمِّيَ الدعِيَّ بالْمُنَوَاطِ المذِيب لأنه مضطرب الانتماء والنسب، واستشهد بقول حسان بن ثابت (البرقوقي، 1926، صفحة 160):

وأنت زعيم نيط في آل هاشم

كما نيط خلف الراكب القدح الفرد

- يظهر من خلال البحث مدى تمكن الإسكافي في اللغة؛ حيث إنّه يمكننا تأليف معجم لغوي مستقل من خلال جمع المفردات المشروحة وشواهدا .

- يُظهر البحث كذلك مدى استيعاب الإسكافي للشواهد الشعرية وفهمها ؛ بحيث إنّه يوردها في كلّ مناسبة؛ يوردها كشاهد أثناء الشرح، أو أثناء ذكر ما يشابه أو يقابل المثل، أو أثناء عرض المسائل النحوية أو الصرفية، ويشرح في كلّ مرة الألفاظ المبهمة للبيت الشعري ويعطي معناه العام، قبل ربطه بالسّياق .

- كما أظهر البحث مدى جهد أسلافنا وإبداعاتهم في التأليف وتفانيهم في خدمة اللغة والتراث، وحرصهم على نقل ذلك لتلاميذهم بطرق مميزة دفعا للرتابة والسأم.

والحاصل أنّ الإسكافي قد اعتمد منها فريدا متميّزا وماتعا من خلال تأليفه هذه الموسوعة؛ (كتاب المجالس)، ومن خلال تحليله للأمثال العرب على غير عادة من جمع هاته الأمثال .

6- قائمة المراجع:

• المؤلفات:

- الإسكافي (2001)، كتاب المجالس، عمان، دار عمار.
- ابن الناظم (2000)، شرح ابن الناظم على ألفية ابن مالك، لبنان، دار الكتب العلمية.
- ابن منظور (دت)، لسان العرب، لبنان، دار صادر.
- البرقوقي، عبد الرحمن (1926)، شرح ديوان حسان بن ثابت، مصر، المطبعة الرحمانية.
- الزركلي، خير الدين (2002)، الأعلام، لبنان، دار العلم للملايين.
- سيبويه (1982)، الكتاب، مصر، مكتبة الخانجي.
- عاشور، الطاهر (1984)، تفسير التحرير والتنوير، تونس، الدار التونسية.
- الغلاييني، مصطفى (2007)، جامع الدروس العربية، لبنان، دار الفكر.

شرحها قبل أن يعطي معناه العام، ثم يورد المورد والمضرب والمسائل النحوية والصرفية أحيانا .

- كما يمكن القول بأنّ الإسكافي ابتكر طريقة إبداعية في التأليف، فألف كتابا يضمّ توجيه مسائل خلافية في علم التفسير وعلم الحديث الشريف وعلم اللغة ولا يُقبل على مثل هذه المسائل إلا من تبحّر في العلم وتمكن من فهمها؛ وتمثلت مباحث علم اللغة في المسائل النحوية والصرفية وشرح أبيات شعرية وختمها الإسكافي بشرح معنى مثل أو حكمة واستخراج المقصود منهما، وقد حاولنا تلمس منهجه في إيراد الأمثال العربية القديمة في كتابه "المجالس" من خلال هذا البحث، ويمكن إيجاز آليات هذا المنهج في النقاط التالية:

- ركز الإسكافي أثناء إيراد المثل على شرح المفردات المكونة للمثل ثم يورد المعنى العام، وقد يعطي تقليات المفردة المشروحة ومعانيها المختلفة وشواهدا وما يقابلها بالفارسية، وقد يسترسل أحيانا ويكثر في الشرح ويطيل .

- نوع الشواهد الموظفة في شرح المثل أو المسائل اللغوية الأخرى بين الشاهد الشعري الذي يورده ثم يشرحه ويعطي معناه العام، والشاهد القرآني الذي يسير فيه بنفس المنهج، وكلام العرب من العصر الجاهلي والإسلامي.

- أثناء عرض المسائل النحوية أو الصرفية فإنه يعطي الحكم وشواهدا، ثم يعرض آراء النحويين، ويُرجّح أحيانا رأيه في الأخير مشفوعا بالحجة . - يُرجّح رأيه بالحجة إن كان للمثل أكثر من معنى، أو كان يحتمل عدة معان.

- أورد الإسكافي كثيرا من الأمثال مع ما يشابهها أو يقابلها ويشرح كلّ على حدى مطعّمًا ذلك بالشواهد المناسبة .

- من أكثر النحويين الذين تم الاستشهاد بهم : الأصمعي الفراء، أبو عمرو بن العلاء، ونلاحظ أن الإسكافي لا يميل لمدرسة نحوية دون أخرى؛ فقد دمج بين المدرستين الكوفية (الفراء) والبصرية (أبو عمرو بن العلاء).

- الفراهيدي، الخليل بن أحمد(2003)، كتاب العين، لبنان، دار الكتب العلمية.
- المرصفي، حسين(2012)، الوسيلة الأدبية إلى العلوم العربية، مصر، مكتبة الثقافة الدينية.
- الميداني(2000) مجمع الأمثال، مصر، دار الهلال.
- الحموي، ياقوت(1993)، معجم الأدباء إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب، لبنان، دار الغرب الإسلامي.
- الحموي، ياقوت(د ت)، معجم البلدان، لبنان، دار صادر.
- مواقع الانترنت:
- ابن عبد البر(2022)، بهجة المجالس وأنس المجالس، <http://www.alwarraq.com> (consulté le 15/08/2022).
- الزمخشري(2022)، المستقصى من أمثال العرب، <http://www.al-mostafa.com> (consulté le 12/07/2022).